أدب الأطفال مدخل للتربية الإبداعية فى العملية التعليمية

د. رشا محمد محمد عبد الدايم
مدرس المناهج وطرق التدريس - رياض الأطفال
كلية التربية - جامعة حلوان

تبرز قيمة أدب الأطفال بوصفه عنصرًا تربويًا فعالاً إذا ما أحسن صنعه وتوظيفه، بحيث يتمركز محور الموضوع الأدبى حول إثارة اهتمام الطفل المتلقى بما لا يتعارض مع مهمة الأدب فى تجسيد الحقيقة الحياتية الواقعية بكل أبعادها. فالكلمة المنطوقة أو المكتوبة، تسعد الأطفال وتسليهم، وتطور وعيهم وطريقة فهمهم للحياة، وتنمى إدراكهم ومحبتهم للجمال ولروح المرح، تعطيهم فرص التعرف إلى أنفسهم بأنفسهم، وتمكنهم من التصدى للمخاوف واقتلاعها من جذورها، وتُطلق العنان لأحلامهم وطاقاتهم الإبداعية.

يقول بياجيه "إن الهدف الأساسى من التربية هو خلق رجال قادرين على صنع أشياء جديدة، ولا يقومون فقط بتكرار ما صنعته الأجيال السابقة، رجال مبدعين، مبتكرين، ومكتشفين"

ومما لاشك فيه أن هذا النوع من الرجال الذى ذكره بياجيه، يحتاج إلى تربية من نوع خاص؛ ألا وهى التربية الإبداعية، هدفها خلق الأفراد المبدعين فى المجتمع، من خلال الكشف عن طاقاتهم الإبداعية وتنميتها وتطويرها. وهذه التربية توجه اهتمامها وأساليبها وأنشطتها إلى الإبداع.

ولقد كشفت الكثير من الدراسات إلى أهم الخصائص والمواصفات اللازم إكسابها للأطفال لإعدادهم للمستقبل هى :

- القدرة على التفكير بكافة مهاراته وعملياته وأبعاده وأنواعه.
- القدرة على التفكير العلمى بمختلف مفاهيمه ومهاراته وعملياته.
- القدرة على التعامل مع تكنولوجيا العصر وبشكل خاص مع الكمبيوتر وشبكات الإنترنت وغيرها من أدوات التكنولوجيا المتطورة المعاصرة.

(إيمان عبدالله السيد، ٢٠١٦: ٢٦١)

على أساس ما تقدم فإن على من يسعى لإعداد الأطفال للمستقبل وإكسابهم أهم وأبرز الخصائص اللازمة لمواجهة ما يفرضه من تحديات أن يكون على علم ودراية ومعرفة وثيقة بكافة الطرق والأساليب والاستراتيجيات اللازمة لتحقيق ما يلى :

- تعليم الأطفال كيف يفكرون بشكل عام وتنمية تفكيرهم والإسراع من معدل نموهم العقلى، ومن اكتسابهم لمختلف عمليات ومهارات التفكير وأبعاده.
- تعليم الأطفال كيف يفكرون تفكيرًا علميًا وتنمية مختلف المفاهيم والعمليات والمهارات والاتجاهات العلمية لديهم.
- اكتساب الأطفال المهارات اللازمة للتعامل مع التكنولوجيا المعاصرة والمتطورة.

ويمكن لأدب الأطفال أن يعدهم للحياة فى عالم الغد، بمتغيراته وتكنولوجياته المتقدمة. فأدب الأطفال بألوانه المختلفة يقدم المادة المعرفية والمعلومات والمهارات والقيم، ما يعين الأطفال على التكيف مع المستقبل، والتحلى بالمرونة، والتفكير العلمى، والقدرات الابتكارية والإبداعية اللازمة لمواجهة المتغيرات الجديدة.

ويقول فيشر (fisher, 2001

" إذا كان على أطفالنا أن يتوقعوا إشكالية التغير، سواء على المستوى الفردى أو الاجتماعى، وأن يتغلبوا عليها ويتعلموا مواجهتها، فإنهم بالإضافة إلى حاجتهم إلى تعلم كيفية التأقلم مع المستقبل، فإن عليهم أن يتعلموا كيف يشكلونه أيضًا. وإذا كان إعداد الأطفال لمواجهة التغيرات السريعة فى العالم هو أحد تحديات التربية، فإن تعليمهم التفكير بإبداع يصبح حاجة ملحة".

والأدب أحد المجالات التى تسعى التربية الإبداعية إلى توجيه الطفل نحوها إذا ما لوحظ وجود ميول أدبية لديه مثل : كتابة القصة والشعر وغيرهما. وللأدب تأثير كبير على لغة الأطفال وتفكيرهم وسماتهم النفسية والشخصية.

ومن الأهمية أن يتعرض الطفل منذ الطفولة المبكرة للنماذج الأدبية المختلفة؛ لكى يتشكل لديه الحس والذوق الأدبى الفنى. ففى البداية يسمع الطفل الأناشيد والقصص من الوالدين ومعلمة الروضة، وبعد أن يتعلم القراءة، يقرأ بنفسه ما يختار من القصص والأناشيد والمجلات وغيرها.

ويقصد بالتربية الإبداعية أن توجه التربية اهتمامها وأساليبها وأنشطتها ونتائجها فى مجال الإبداع، مع مراعاة خصائص وإمكانات ومقومات كل من التربية وعمليات الإبداع ودورها بالنسبة للفرد والمجتمع ؛ أى أنها هى التربية فى مجال الإبداع، وما يمكن أن يحدث بينهما من تفاعل ونشاط إيجابى متميز، مع توظيف خصائص الإبداع ومقوماته لإثراء حياة الفرد والمجتمع الحاضرة والمستقبلية، وتنميتها، وتطويرها لمواجهة ما يطرأ عليها من متغيرات ومواقف ومتطلبات، بأفضل صورة ممكنة.

(عبدالرحمن عبدالهاشمى، ٢٠٠٩،٣٩٨)

دور أدب الأطفال فى تشجيع الابداع

يمكن لأدب الأطفال أن يدعم بقوة تربية الأطفال التربية الروحية الصحيحة، التى تدعم بدورها بناء شخصية الفرد السوى، الذى يتسم بالصفات التى تدعم الفكر والابتكار والإبداع. وأدب الأطفال بمفهومه العام والخاص بألوانه المختلفة، يقدم هنا لخدمة الحياة فى مناخ المستقبل منها المادة المعرفية والمعلومات والمهارات والقيم، ما يعين الأطفال على التكيف مع المستقبل، والتحلى بالمرونة، والتفكير العلمى، والقدرات الابتكارية والإبداعية اللازمة لمواجهة المتغيرات الجديدة.

ويرى (سمير عبدالوهاب،٢٠٠٦،٤٩) أن أدب الأطفال هو "كل ما يقدم للطفل من مادة أدبية أو علمية - مكتوبة أو منطوقة أو مرئية - تتوفر فيها معايير الأدب الجيد، وتراعى خصائص نمو

الأطفال وحاجاتهم، وتتفق فيها مع ميولهم واستعداداتهم، وتسهم فى بناء الأطر المعرفية الثقافية، والعاطفية القيمية، والسلوكية المهارية؛ وصولاً إلى بناء شخصية سوية متزنة؛ تتأثر بالمجتمع الذى تعيش فيه، وتؤثر فيه تأثيرًا إيجابيًا".

وأدب الأطفال الناجح يحبب الأطفال فى القراءة، وكل أوعية العلم والمعرفة الحديثة، ويحقق الألفة بينها وبين الأطفال. فالقراءة تدفع الأطفال للإبداع، الذى بدوره يزودهم بالثقة بالنفس، وبطرق ذات معنى لاستخدام اللغة، وأخيرًا يشجعهم على القراءة أكثر.

كما يقوم أدب الأطفال بدور مهم فى إثراء لغة الطفل، واللغة - كما رأينا - وثيقة الصلة بالتفكير. وتقوم القصص والمسرحيات والأغانى والأناشيد، وغيرها من ألوان الإنتاج الأدبى، بدعم القيم والصفات اللازمة لعمليات التفكير الإبداعى والابتكارى، مثل : دقة الملاحظة، والصبر والمثابرة، والتفكير الجاد المستمر، وتنمية الخيال، والتفكير الناقد... إلخ. ويقدم أدب الأطفال قصص العلماء والمخترعين، وأهل الإبداع، ليتخذ الأطفال من حياتهم وسيرهم وتصرفاتهم نماذج وأمثلة تحتذى. كما يقدم أدب الأطفال أنماطًا للتفكير المستهدف، ونماذج للتصرف السليم فى مختلف المواقف، ومن خلال تصرفات الأبطال الذين يعجب بهم الطفل ويقدرهم، فيقلد تصرفاتهم ويتبنى أساليبهم من غير تردد، على أن يكون هذا مما يخدم أساليب التفكير العلمى، والتفكير الابتكارى والإبداعى.

وأدب الأطفال فى قصصه وبرامجه التليفزيونية والإذاعية والأسطوانات والقصص التفاعلية ذات الأبعاد الثلاثة للتفاعل والتى تجمع بين الصوت والصورة، وتعد القصص التفاعلية أحد فنون أدب الأطفال التى أنتجها العصر الرقمى، وترجع أهميتها إلى اعتمادها على العديد من الجوانب، فهى تعتمد على أسلوب التفاعل بأشكال متعددة، وفى مراعاتها الفروق الفردية بين الأطفال، فهى تتيح أن يتعلم كل طفل أو يستكمل قصته حسب قدراته وإمكاناته، وتعطى صورة عن الواقع الذى تحدث فيه أحداث القصة، ومما لاشك فيه أنها تُمكن الطفل من الحصول على خبرات يصعب الحصول عليها، ومهارات ذات أهمية بالنسبة له، كما أنها تتناغم مع نظريات التعلم من حيث التفاعل والمشاركة فى التعلم، وإتاحة التعلم الذاتى والتغذية الراجعة.

(سمر سامح محمد، ٢٠١٦،٧٩)

وتتيح مواقف تستدعى من الأطفال : دقة الملاحظة والتأمل، والربط والتعليل، والاستنتاج، وحسن إدراك الأمور، وتشجع الرغبة فى تفسير المسائل وحل المشاكل، وللقصص البوليسية دور فى تنمية مهارات التفكير.

الكتابة الإبداعية

يؤكد أدباء عرب يكتبون للطفل أن أدب الطفل يعانى منذ ربع قرن مضى من أزمة وجود، أما الأن فهو يعانى من أزمة جودة بعد أن ارتفعت مبيعات كتب الأطفال، وهو الأمر الذى أدى إلى هرولة دور النشر لترجمة العديد من قصص الأطفال الغربية دون وعى أو إدراك بمحتوياتها، وما تبثه من أفكار مغايرة لمجتمعاتنا. (الشارونى ،٦، ٢٠١٤)

ولهذا لابد من الاهتمام بممارسة الأنشطة الإبداعية وتذوقها، مثل كتابة الشعر والقصة فيجد الطفل نفسه مبتكرًا، يبدأ إنتاجه الفنى بمعارفه السابقة ثم يضيف إليها من ذاته وأحاسيسه وعواطفه وأفكاره، فيخرج إبداعاته الأولى التى تمهد لإعداده ليكون فردًا مبدعًا.

ويقصد بالكتابة الإبداعية قيام الأطفال بالتعبير عن أحاسيسهم، ومشاعرهم، وانطباعاتهم، عما رأوه، أو سمعوه، أو تواصلوا به، تعبيرًا نابعًا من الوجدان، أهدافها :

(ابراهيم مجدى عزيز،٢٠٠٥،٦٠)

- إتاحة الفرص أمام الطفل للإسهام فى حل مشكلاته الخاصة، وقيامه بدور إيجابى فى هذا السبيل، بدلاً من أن تقدم له الحلول الجاهزة، مع تدريبه على إدراك المشكلة من جوانبها جميعها، وافتراض الحلول، وتقييم هذه الحلول بطريقة موضوعية، ما ينمى التفكير العلمى والإبداعى عند الأطفال.
- تدريب الأطفال على الصبر والمثابرة وبذل الجهد المتصل، فالمبدعون يتميزون دائمًا بالقدرة الفائقة على تحمل العناء.
- تدريب الأطفال على التفكير الناقد الذى يحسن التقليل والتحليل وربط الأسباب بالنتائج وتقييم الأمور بطريقة موضوعية.
- تعويد الأطفال على الطلاقة فى التعبير.
- تنمية خيال الطفل بطريقة سليمة، والطفل لديه استعداد قوى لهذا، والخيال الإنسانى مسئول عن كل الأعمال الابتكارية فى حياة البشر.
- تنمية قدرة الأطفال على الملاحظة الدقيقة، والتقاط الظواهر ذات القيمة، التى تبدو كأنها حدثت مصادفة (مثل سقوط التفاحة عن الشجرة). وتشجيعهم على تفسير هذه الظواهر، واختيار التفسيرات المختلفة، والتحقق من صحتها.
- إثارة اهتمام الأطفال بالمشكلات المختلفة، والإحساس بها، وإثارة حماستهم للبحث فى هذه المشكلات، والتماس الحلول المبتكرة المناسبة لها.
- الاهتمام بالفروق الفردية بين الأطفال، والعمل على تنمية استعدادات الفرد وقدراته إلى أقصى حدودها وإمكاناتها.
- توسيع خبرات الأطفال ومعلوماتهم، وتنمية ثروتهم اللغوية.
- تدريب الأطفال على الكتابة. وإذا كان طفل الروضة لا يستطيع الكتابة بنفسه بسبب عدم امتلاكه مهارة الكتابة بعد، فإنه يلجأ للتعبير عن أفكاره ومشاعره شفويًا، وتقوم المعلمة أو الأم بكتابة ما يمليه الطفل.

فالكشف عن الأطفال المبدعين ورعايتهم، ليس بالأمر السهل، بل أمر يحتاج إلى تخطيط تربوى، وحشد هائل للطاقات المادية والبشرية.

وتقع على عاتق الأسرة والمدرسة كمؤسستين تربويتين مسؤولية احتضان الأطفال ورعايتهم، والبحث باستمرار عن القدرات الكامنة فيهم، وجعلها تظهر فى أعمال إبداعية تعبر عن أفكارهم ومشاعرهم. فعندما يقرأ الطفل كثيرًا، ويتذوق فنيًا النصوص التى يقرأها، تتغذى ميوله وقدراته الإبداعية، وقد يصبح راغبًا فى الكتابة بنفسه، وهنا يأتى دور الوالدين لتشجيعه، ودور المعلم فى المدرسة ليأخذ بيده ويدربه على الكتابة. وعلى المدرسة أن تضع خططًا لتدريب الطلاب على الكتابة الإبداعية.

ويجب أن يتوفر للطفل البيئة المساندة للإبداع، ومن ميزات هذه البيئة أنها داعمة لشخصية الطفل، فهى تقدره لذاته وتوفر له الأمن النفسى الذى يستطيع فى ظله أن يعبر عن أفكاره بحرية، وأن يظهر أعماله الإبداعية. ومن مميزات البيئة المساندة أيضًا أنها داعمة للقراءة، والمقصود هنا قراءة أدب الأطفال الذى يقوم بوظائف التربية الجمالية والأخلاقية والنمو اللغوى.

ويمكن للمعلم أن يشجع كتابة الطالب الإبداعية بوسائل عدة، منها :

الدفتر الشخصى

يتمثل الإبداع أصلاً فى الكتابة الحرة خارج الصف، وبدوافع ذاتية داخلية، يكتب الطالب إبداعه فى دفتر شخصى، قد يُطلع معلمه أو زملاءه على محتواه وقد لا يطلعهم. وفى هذا الدفتر يكتب الطالب النوع الأدبى الذى يستهويه، كقصة واقعية عاشها، أو خيالية نسج أحداثها بنفسه، أو قصيدة نظمها، أو خواطر يجد متنفسًا فى البوح بها.

كتابة القصة كمثال على الكتابة الإبداعية

ورغم تنوع الأشكال الإبداعية، فى هذا الجنس الأدبى، فإن الخطاب السردى، بأنساقه القصصية والروائية، يحتل مكان الصدارة فى مكتبة الطفل عالميًا، ويحظى باهتمام كبار المبدعين، لما له من تأثير كبير على السلوك القيمى للأطفال؛ حيث إنه يستثير عواطفهم، ويحفز قدراتهم على الابتكار والإبداع.

وقد ذكر(عبدالله سرور،٢٠٠٤، ٧٠) سبعة أسباب توضح لنا أهمية أن يكتب الأطفال القصص، وهذه الأسباب نفسها تنطبق على كتابة الشعر، وفيما يلى هذه الأسباب :

- المتعة، وتقوية التعبير الفنى، و إثارة الخيال، والبحث عن الهوية، وتنمية التفكير وللكشف عن قيمة ووظائف الكتابة، ولتعلم القراءة والكتابة.

ولهذه الأسباب يتبين مدى أهمية جعل الكتابة الإبداعية جزءًا مهمًا من البرنامج اليومى للصفوف الابتدائية. ومن المهم توضيح هذه الأسباب للآباء الذين قد يعتبرون الكتابة مجرد لعب عابث لا يفيد أطفالهم.

ويجب أن يستمتع الأطفال بالكتابة الإبداعية، ويجب أن تتاح لهم فرصة اختيار مواضيع وطرق الكتابة. وعلى المعلمين أن يؤكدوا للطلاب القصة الجيدة تتطلب تتابعًا منطقيًا وتسلسلاً حقيقيًا؛ لذلك يجب أن يكون كاتب القصة عالماً بتفاصيل الأشياء التى يكتب عنها، وكذلك مدركًا وملمًا من الأشياء التى حوله، وفى عالمه.

ومناقشة القصة تكون من خلال تحليل عناصرها (الشخصيات، الزمان، المكان، الأحداث، الفكرة المركزية المغزى، الأسلوب والألفاظ) وكل ذلك بطريقة مبسطة تناسب المرحلة العمرية للطفل. وقد يكتب القصة طالب واحد، وقد يكتبها مجموعة من الطلاب، وتؤلف كل مجموعة قصة مختلفة عن الأخرى أو طلاب الصف جميعهم، وتسمى القصة فى هذه الحالة "القصة الجماعية".

ساعات الإرشاد

من الضرورى تخصيص أوقات محددة يتلقى فيها الطلاب الراغبون إرشادًا شخصيًا من المعلم، فيتباحث معهم فى سبل رفع مستوى كتابتهم، دون أن يملى على الطالب ذوقه فى النوع الأدبى أو الأسلوب. كما يستطيع المعلم اختيار بعض هذا النتاج، بشرط موافقة أصحابه، لإفادة طلاب آخرين فى الصف، أو فى ساعات الإرشاد.

التغذية الراجعة

قد يخشى بعض المعلمين من إبداء الملاحظات حول كتابات الطلاب الإبداعية، لأن ذلك حسب اعتقادهم قد يكون عملاً غير موضوعى وغير عادل؛ ولذلك يمكن جعل الطلاب يقومون بقراءة أعمال بعضهم البعض وإبداء الملاحظات حولها، وذلك يكون مفيدًا لكل من القارئ والكاتب. والكثير من الأطفال يتقبلون الملاحظات من زملائهم أكثر من تقبلهم لملاحظات معلميهم.

النشر

نشر عمل الطالب الإبداعى أمر مهم جدًا، ويمكن نشر عمل الطالب فى عدة مواقع مثل : النشرات التى تصدر عن المدرسة ونشاطاتها، أو فى مجلة الحائط. ويمكن تشجيع الطالب على نشر عمله فى مجلات الأطفال، أو الصحفة الخاصة بالأطفال فى الصحف. وعندما يرى الطالب عمله منشورًا، فإن ذلك يكون مصدر فخر له، وطريقة لمشاركة كتابته الإبداعية مع عائلته وزملائه. والنشر يزود الطالب بدافعية للقيام بالمزيد.

ويهمنا أن نقول فى هذا السياق إن الإبداع من أنواع السلوك التى يمكن أن يتعلمها الفرد. وهنا يجب أن نؤكد أهمية وجود المعلم المبدع (أو على الأقل المقدر للأبداع)، فإذا لم يكن المعلم نفسه مفكرًا مبدعًا مجددًا، فكيف نتأمل منه الكشف عن الطلاب المبدعين ورعايتهم؟

المصادر والمراجع

- ابراهيم مجدى عزيز ٢٠٠٥ : تربية الإبداع وإبداع التربية فى مجتمع المعرفة، القاهرة، عالم الكتب.
- إيمان عبد الله السيد ٢٠١٦ : أثر الغزو الثقافى على إضعاف الهوية والانتماء للوطن، بحوث المؤتمر السنوى الأول مركز توثيق وبحوث أدب الأطفال، ٢٠-٢١ نوفمبر.
- حسن عبدالعال ٢٠٠٥: التربية الإبداعية ضرورة ووجود، عمان، دار الفكر العربى.
- سمر سامح محمد محمد ٢٠١٦ : التصميم التربوى للقصص التفاعلية "دراسة تحليلية" بحوث المؤتمر السنوى الأول مركز توثيق وبحوث أدب الأطفال، ٢٠-٢١ نوفمبر.
- سمير عبدالوهاب ٢٠٠٦ : أدب الأطفال قراءة نظرية ونماذج تطبيقية، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطبع .
- عبدالرحمن عبدالهاشمى ٢٠٠٩ : تربية الإبداع وكتاب أدب الأطفال.
- عبدالله سرور ٢٠٠٤ : فى أدب الأطفال، القاهرة، مطبعة الفاروق.
- يعقوب الشارونى ٢٠١٤ : مستقبل الكتابة للأطفال فى مصر والعالم العربى : مؤتمر الفيوم الثالث لأدب الأطفال، دراسة من إعداد يعقوب الشارونى (من ٢٠ يناير إلى ٢٢ مايو)